[١٣٤ – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال). وفي لفظٍ لمسلمٍ: (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربعٍ، يقول: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ...ثم ذكر نحوه)].

ذكر المصنف – رحمه الله – حديث أبي هريرة – رضي الله عنه وأرضاه –، وهذا الحديث اشتمل في روايةٍ في الصحيح – كما بين المصنف رحمه الله، وهي رواية مسلمٍ – على الأمر بدعواتٍ طيباتٍ مباركاتٍ يقولهن المسلم في أدبار الصلوات، وهذه الدعوات ثبتت من سنة النبي ﷺ ، ثبتت بسنته القولية وبسنته الفعلية – صلوات الله وسلامه عليه –، ومحل هذا الدعاء بعد الفراغ من التشهد. فلما ذكر المصنف – رحمه الله – الحديث السابق الذي اشتمل على صفة الصلاة على النبي ﷺ ، وكانت الصلاة هي خاتمة ما يكون بعد الشهادتين، يشرع بعدهما المسلم في الدعاء؛ لقوله في الرواية الصحيحة السابقة: (ثم ليتخير من المسألة ما شاء) فأمَرَ النبي ﷺ أمر ندبٍ واستحبابٍ لا أمر حتمٍ وإلزامٍ وإيجابٍ؛ لقوله: "ثم ليتخير". "من المسألة" يعني: من الدعاء، "ما شاء" أي: ما أحب، ولما كان هذا الموضع موضع دعاءٍ ومسألةٍ بين النبي ﷺ جوامع الدعاء التي جمع الله فيها للمسلم خير الدين والدنيا والآخرة، وكذلك أيضًا جوامع الدعاء التي يدعو بها المسلم فيسأل الله – عز وجل – أن يكفيه شرور الدنيا وشرور الآخرة.

وقوله – عليه الصلاة والسلام –: **[إذا تشهد أحدكم فليستعذ]** "إذا تشهد أحدكم" أي: أتم ذكر التشهد، وقوله: "فليستعذ" أمرٌ، وللعلماء في هذا الأمر وجهان: منهم من يقول: إن الدعاء بهذه الأربع دعواتٍ أو الخمس – إذا فصِّلت – يعتبر واجبًا من واجبات الصلاة، وأن من تركه يلزم بالإعادة أو يأثم، فقد جاء عن طاووس بن كيسان – وهو صاحب حبر الأمة وتلميذه: طاووس بن كيسان الجندي –، كان من خيار التابعين وأئمتهم، كان يُلزم بهذه الدعوات الأربع في الصلاة، حتى جاء عنه أنه أمر ابنه لما صلى ولم يدع بهذه الدعوات الأربع – أو الخمس على التفصيل – أمره بإعادة الصلاة، وهذا يُفهم منه أنه يرى وجوبها، وأن الترك العمدي للواجب في الصلاة يوجب الإعادة، وذهب فقهاء الظاهرية – رحمهم الله – إلى القول بوجوبها وأنه يأثم إن

تركها، ومنهم من يرى برأي طاووس: أن صلاته لا تصح، وجمهور السلف والخلف ومنهم الأئمة الأربعة – عليهم رحمة الله جميعًا – يقولون: إن هذه الدعوات إذا دعا بها المسلم فذلك أفضل وأكمل، وإذا تركها فاته الخير وصلاته صحيحةٌ ولا يأثم.

والصحيح: ما ذهب إليه الجمهور؛ لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: (ثم ليتخير من المسألة ما شاء) فكان هذا صارفًا للأمر عن ظاهره الموجب للوجوب إلى الندب والاستحباب، فمن دعا بهذه الدعوات الطيبات المباركات، فإن الله يأجره مع ما يحوزه من أمانٍ عظيم وفضلٍ من الله الكريم، ومن لم يدع بها – تركها ناسيًا أو تركها متعمدًا – فإنه لا إثم عليه، وذلك لظاهر السنة – كما ذكرنا – والتي دلت على صرف الأمر عن ظاهره الموجب للوجوب إلى الندب والاستحباب.

وقوله – عليه الصلاة والسلام –: **[فليستعذ]** الاستعاذة: أن يسأل العبد ربه أن يعيذه، فلا معيذ يعيذ من شرور الدنيا والآخرة إلا الله وحده لا شريك له، فهو الذي يكفي عبده، وهو السميع العليم لا تخفى عليه خافية، السر عنده علانية، أقرب شهيدٍ، وأدنى حفيظٍ – سبحانه وتعالى –، فالاستعاذة بالله: الالتجاء والاعتصام، أي: اللهم إني ألتجئ إليك وأعتصم بك. وقوله – عليه الصلاة والسلام –: **[فليستعذ بالله من عذاب القبر]** وكان يقول في حديث أبي هريرة: **[اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر]** والقبر هو المحطة الأولى من محطات الآخرة، وقد كان من حكمة الله – سبحانه وتعالى – وتكريمه لبني آدم: أنه إذا مات يقبر ولا يترك على وجه الأرض، فإن الدواب والسباع والبهائم إذا ماتت تركت على وجه الأرض، فانتهشتها السباع العاديَة، وحطت عليها الطيور الجارحة، وأصبحت جيفةً يتضرر بها وبرائحتها ونتنها كل من مر عليها، ولكن الله – سبحانه – أكرم بني آدم، وهذا التكريم نعمةٌ من الله – سبحانه وتعالى – بالأحياء ونعمةٌ بالأموات، ورحمةٌ ولطفٌ بالكل؛ لما فيه من ستر العورات، ولما فيه من دفع شرور البلايا، ولذلك لو بقيت الجثث على وجه الأرض لانتشرت الأوبئة، وإذا وقعت الفتن بين الناس ووقعت الحروب والهرج والمرج وكثر انتشار الجثث، كثر البلاء ويكثر الطواعين ويعم الشر بسبب ظهور هذه الجثث. فمن رحمة الله ولطفه: أنه بين حتى لبني آدم كيفية القبر حينما قتل قابيل هابيل ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ فألهمه الله ودله

على الطريقة التي يستر بها عورة أخيه ويواري بها جثته، فكان من نعمة الله على العبد أن يُقبر، ولذلك قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾ ، والقبر يتعلق به أمرٌ من أمور الإيمان، ففيه من علوم الغيب التي أطلع الله – عز وجل – عليها نبيه ﷺ وأمر الأمة أن تؤمن وأن تسلم بهذه الأمور، فالقبر كما دلت النصوص على أنه إما حفرةٌ من حفر النار أو روضةٌ من رياض الجنة ولا يخرج عن هذين بحالٍ، فإما أن يكون صاحبه في روضةٍ من رياض الجنة أو يكون – والعياذ بالله – في حفرةٍ من حفر النار. ولذلك كان أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين المهديين – رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين – عثمان بن عفان كان إذا جلس على القبر بكى واشتد بكاؤه، وقال أخبرني خليلي رسول الله ﷺ : أن القبر أول منازل الآخرة إما حفرةٌ من حفر النار أو روضةٌ من رياض الجنة. فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله لنا ولكم وللمسلمين روضةً من رياض جنته.

والإيمان بهذا المنزل يوجب على المسلم أن يسلم بما يكون فيه من النعيم وبما يكون فيه من الجحيم، فأول ما يقبر الإنسان تعرض عليه الفتنة – وهي فتنة سؤال الملكين – ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡ ﴾ فيثبت الله المؤمن فيجيب بالقول السديد، ويخذل الله – عز وجل – الكافر فيفتن ويعذب في قبره. فقد ثبت في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها وأرضاها –: أن امرأةً يهوديةً جاءتها فاستطعمتها فأطعمتها وأحسنت إليها، فقالت لأم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. ففزعت عائشة – رضي الله عنها – من قولها، فلما دخل عليها رسول الله ﷺ أخبرته بخبرها فقال ﷺ: (هل شعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم كفتنة الدجال أو أشد) وبين النبي ﷺ حقيقة هذه الفتنة، ففي الحديث الصحيح عن البراء بن عازبٍ – رضي الله عنه وأرضاه –: أن النبي ﷺ قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرة، نزلت عليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه معهم كفنٌ من أكفان الجنة، فيجلسون منه مد البصر، ثم يأتيه ملك الموت ويقول: يا أيتها الروح اخرجي إلى رحمةٍ من الله ورضوانٍ، فتسيل كما تسيل القطرة من فِ السقاء، فلا يدعونها معه طرفة عينٍ حتى يضعونها في ذلك الكفن، فتخرج منها كأحسن نفحةٍ مسكٍ وجدت على وجه الأرض، ثم يصعدون بها إلى السماء، فلا يمرون بملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟

قالوا: روح فلان بن فلان – بأحب الأسماء وأحسنها –، حتى تنتهي إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء، ثم تنتهي إلى ما شاء الله، فيقول الله تعالى:" اكتبوا كتاب عبدي في عليين وردوه إلى الأرض، فإني منها خلقته"، ثم ترجع روحه، فيأتيه ملكان في القبر فيقعدانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ويقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، ويقولون له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: نم صالحًا. وفي روايةٍ: ينادي عليه منادٍ من السماء: أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة، ثم يفتح له منها يأتيه من روحها وريحانها، ثم يقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة، يشتاق إلى أهله ورحمة ربه ...) أي: أنه يقول: "رب أقم الساعة" شوقًا إلى رحمة الله؛ لعلمه أن ما وراء ذلك من الرحمة والفضل أعظم وأكبر من هذا كله. قال ﷺ: (ثم يأتيه رجلٌ في أجمل صورةٍ فيقول: من أنت؟ فوجهك الذي يأتي بالخير فيقول: أنا عملك الصالح. وأما العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرة، نزلت عليه ملائكةٌ من السماء معهم المسوح كفنٌ من أكفان النار، ثم يجلسون منه مد البصر، ثم يأتيه ملك الموت ويقول: يا أيتها الروح الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ، فتتفرق في جسده، ثم ينزعها من ذلك الجسد كما يُنزع السَّفُّود من الثوب الخَلَق، ثم لا يدعونها معه حتى يضعونها في ذلك الكفن، فتخرج منها كأخبث ريحٍ وجدت على وجه الأرض، ثم يصعدون بها إلى السماء، فلا يمرون بملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ قالوا: روح فلان بن فلان – بأخبث أسمائه –، حتى تنتهي إلى السماء فتغلق دونها أبواب السماء، فتطرح في الأرض طرحًا ويكتب كتابه في سجين، وتلا رسول الله ﷺ قول الله – عز وجل –:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ ما ظلمهم الله ولكنها حصائد الأقوال والأعمال، فإذا أعيدت روحه في قبره، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاء هاء لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاء هاء لا أدري، فيقولان له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هاء هاء لا أدري، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمِرْزَبَّةٍ من حديدٍ، يصيح صيحةً يسمعها جميع من خلق الله إلا الجن والإنس، ولو سمعوها لصعقوا) أي: لماتوا من ساعتهم، هذا الحديث يدل دلالةً واضحةً على فتنة القبر، والعبد قد يبتلى ولو كان مؤمنًا، فقد يحصل عنده بعض البلاء ولكن الله يثبته على قدر إيمانه. ولذلك كان من هديه ﷺ إذا قبر الميت، وقف على قبره وقال: (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) فدل على أن المؤمن يحتاج حتى إلى دعاء الثبات، وينبغي للمسلم دائمًا أن يسأل

الله – عز وجل – الثبات في الدنيا والآخرة حتى يسلم من هذه الفتن التي أخبر النبي ﷺ ، وهي واقعةٌ لا محالة.

وقد دلت النصوص على أن هذه الفتنة يسلم منها الشهيد، فإن الشهيد لا يفتن في قبره وهو مستثنىً من هذه الفتنة التي استعاذ منها النبي ﷺ ، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: أنه لما سئل عن فتنة الشهيد قال: (كفى ببارقة السيوف فتنة) أي: كفى به أنه خرج في سبيل الله بائعًا روحه لله – عز وجل – من أجل لا إله إلا الله فكيف يفتن في قبره؟ فهذه نعمة من الله – عز وجل –، ولأن أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خضرٍ في الجنة تسرح، فتشرب من أنهارها وتأكل من ثمارها، تأوي إلى قناديل معلقةٍ بالعرش، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ . وهذه الفتنة يكون فيها العذاب وذلك بسبب كبائر الذنوب، وقد تجتمع الصغائر على العبد فيفتن على حسب ما أصاب منها.

وقوله – عليه الصلاة والسلام –: **[اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر]** أي: يا الله ألتجئ وأعتصم بك من عذاب القبر، ويستوي في ذلك أن يكون العذاب من الصغائر أو من الكبائر، ولا شك أن الله قد عصم نبيه ﷺ فإن الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – في رحمةٍ من الله – عز وجل –، ولذلك لما قالت فاطمة – رضي الله عنها –: وا كرب أباه، وكان ﷺ في فراش الموت قالت: وا كرب أباه. قال ﷺ: (لا كرب على أبيك بعد اليوم) فالأنبياء لاشك أنهم في حفظٍ من الله – عز وجل – ولا يعذبون ولا يفتنون، ولكن النبي ﷺ استعاذ تعليمًا للأمة، ولكي يقتدي به غيره ويأتسي – صلوات الله وسلامه عليه – **[اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب جهنم]** عذاب النار وعذاب جهنم المراد به: عذاب الآخرة، وقد دلت النصوص على أن المؤمن قد يعذب في الآخرة بسبب كبائر الذنوب، فإذا ضرب الصراط على متن جهنم وأمر الناس أن يجتازوا، فإن للنار كلاليبٌ وخطاطيفٌ تخطف الناس بسبب الذنوب والكبائر، فمن كانت عنده كبائر الذنوب فإنه يكردس في نار جهنم على قدر ما أصاب منها – نسأل الله السلامة والعافية –. ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (ثم يضرب الصراط على متن جهنم، فتقوم الأمانة والرحم على جنبتي الصراط) ولذلك كان بعض العلماء يقول: أخاف على من قطع الرحم وعلى من خان الأمانة ألا يسلم من الصراط؛ لأنه قال: (فتقوم الأمانة والرحم على جنبتي الصراط)، فمن عادى أقرباءه وقطع أقرباءه وقطع الرحم فلا يأمن أن يكردس في نار جهنم، وهكذا إذا آذاهم وأضر بحقوقهم وغمطهم حقوقهم فإنه لا يؤمن عليه أن

يكردس – والعياذ بالله – في نار جهنم، فإذا سقط العصاة وأصحاب الكبائر في النار فإنهم يبقون فيها على حسب الذنوب، فإذا شاء الله – عز وجل – أن يخرجوا منها خرجوا منها بشفاعة النبي ﷺ وكذلك بشفاعة إخوانهم المؤمنين، ويلقون في نهر الحياة وهم قد امتحشوا فينبتون ثم يدخلون الجنة ويكون خلودهم بعد ذلك فيها. فيستعيذ المؤمن من عذاب جهنم أي: أن يُحفظ من عذاب جهنم فلا يكون من أهل النار الخالدين فيها، ويحفظ من عذاب جهنم فلا يعذب فيها بكبائر أو بصغائر تحيط به، فيبلى بنار جهنم على قدر ما أصاب منها إن وصلت إلى حد الكبائر.

وقوله – عليه الصلاة والسلام –: **[ومن فتنة المحيا والممات]** أي: اللهم إني أعوذ بك من فتنة المحيا والممات، والمحيا من الحياة، والعبد إذا طال عمره إما أن يطول بخيرٍ وإما أن يطول بشرٍّ – نسأل الله السلامة والعافية – قال ﷺ: (خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله) فقد يطول عمر الإنسان فيفتن في دينه، وقد يطول عمر الإنسان فيتعذب في نفسه أو يتعذب في أهله أو يُعذب من الناس فيكون باطن الأرض خيرٌ له من ظاهرها. ولذلك سأل النبي ﷺ ربه أن يعيذه أن يرد إلى أرذل العمر وهذا من باب الاستعاذة من شر طول العمر، فإن العمر إذا طال إذا سلم الإنسان من فتنه لا يسلم من منغصاته وأذاه وبلاياه فيسأل العبد ربه خير الحياة وخير الموت. وقال بعض العلماء: إن المراد بالفتنة هنا: العموم، فتشمل فتنة الدين وفتنة الدنيا، فأما فتنة الدين فإنه قد يطول عمره فينتكس عن طاعة الله – والعياذ بالله – وقد يطول عمره فتسوء خاتمته – نسأل الله السلامة والعافية – قال ﷺ: (إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) فدل هذا على أنه قد يطول عمر الإنسان ويختلف حاله، ومن هنا كان من دعاء الأخيار: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴿٨﴾ ﴾ فيسأل العبد ربه أن يثبته على الطاعة وأن يجعل زيادة العمر زيادةً في البر، ولذلك قال ﷺ: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، و اجعل الموت راحةً لي من كل شر) فيسأل العبد ربه أن يجعل الحياة له زيادةً في كل خيرٍ من الطاعات والباقيات الصالحات، ويسأل الله – عز وجل – طول العمر في مرضاته فإن هذا من أجل النعم التي ينعم الله – عز وجل – بها على عبده.

وقال بعض العلماء: إن فتنة الممات المراد بها: أن يفتن عند آخر عمره فيختم له بخاتمة السوء فتكون فتنةً

خاصةً. والصحيح: العموم، أنه سأل الله – عز وجل – الحياة السالمة من الفتن وهذا فيه عمومٌ يشمل فتنة الدين – كما ذكرنا – وهي: اختلاف الطاعة، ويشمل فتنة الدنيا وهي: عذابه وكثرة تعبه ونصبه في آخر العمر. وكذلك أيضًا تكون فتنة الممات بالسلامة من زيغ الشيطان وأذيته للعبد إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرة. وقد ذكر العلماء – رحمهم الله – أن الإنسان يفتن عند موته وهذه الفتنة تشتد وتعظم بسبب الذنوب، فقد تكون عنده معاصٍ وذنوبٌ تتسبب – والعياذ بالله – في سوء الخاتمة، قد لا يدخل النار ولكن تكون خاتمته على كلامٍ غير طيبٍ، أو يعرض عليه قول لا إله إلا الله فيمتنع، ومنهم من – نسأل الله السلامة والعافية – يصرف عنها فيحب قولها ولا يستطيع، فينعقد لسانه إما بعقوق والدين – نسأل الله السلامة والعافية – فقل أن يسلم العاق من سوء الخاتمة، فإذا سئل الخير في آخر عمره قد يحال بينه وبينه مع أنه قد يموت على الإسلام وعلى شهادة الإسلام، لكن قد تأتيه منيته على فتنةٍ فتأتيه على معصيةٍ أو تأتيه على شرٍّ – نسأل الله السلامة والعافية – أو بسبب قطيعة رحمٍ، أو بسبب الظلم فإنه إذا كثرت مظالم الإنسان للناس وكثرت دعوات السوء عليه فإنه – والعياذ بالله – لا يختم له بخيرٍ. ومن الأسباب التي تتسبب في سوء الخاتمة: سوء الظن بالله – عز وجل – ولذلك قال ﷺ: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله – عز وجل –) وفي الحديث الصحيح: أن الله تعالى يقول: (أنا عند حسن ظن عبدي بي) ومن أسباب سوء الخاتمة: التمرد على الله والتعالي على الله، وكلمات الردة – نسأل الله السلامة والعافية –. فمما اتفق لبعضهم أنهم كانوا قادمين من سفرٍ فقال أحدهم: وصلنا المدينة، فقال رجل صالح: قل إن شاء الله، فقال ذلك العبد الفاجر الشقي: وإن لم يشأ – نسأل الله السلامة والعافية –، قال فما مضوا قليلاً حتى قلبت بهم سيارته فكان أول من اندقت عنقه ذلك الفاجر. فسوء الخاتمة – نسأل الله السلامة والعافية – يكون بالتمرد على الله والكلمات التي فيها الردة والاستهزاء بالدين فإن صاحبها – نسأل الله السلامة والعافية – لا يأمن من أخذ الله له أخذ عزيزٍ مقتدرٍ. فعلى المسلم أن يتأدب مع الله، ومن تأدب مع الله ورعى حرمة هذا الدين، وحفظ لسانه عن كلمات الكفر والردة والاستهزاء بالدين والاستهزاء بالصالحين فإن الله يحفظه، والعكس بالعكس. كذلك – كما ذكرنا – كما أن سوء الخاتمة يكون بالمعاصي، فإن حسن الخاتمة والسلامة من فتنة الموت تكون بسبب الطاعات بعد توفيق الله ﷻ ، فمن أدمن الخير وحافظ على الخير ختم الله ﷻ له بخاتمة الخير، فإذا أكثر الصلوات والنوافل قد تأتيه منيته وهو ساجدٌ بين يدي الله ﷻ ، ومن أكثر ذكر الله –

سبحانه وتعالى – وصار لسانه رطبًا بذكر الله قد تأتيه منيته وهو يقول: لا إله إلا الله، ومن كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة، ومن أكثر من الإحسان إلى الناس وتفريج كرباتهم وستر عوراتهم وتفقد حاجاتهم، فإن الله – عز وجل – ييسر له من صالح الدعوات ما يكون سببًا في حسن الخاتمة له. فعلى العموم، كما أن الدعاء يتسبب في هذا الخير العظيم من حفظ العبد من فتنة المحيا ومن فتنة الممات كذلك الأعمال الصالحة، ولذلك قال ﷺ في حديث ابن عباسٍ حينما وقف في حجة الوداع وسقط رجل من على دابته فوقصته فقتلته، قال ﷺ: (اغسلوه بماءٍ وسدرٍ وكفنوه في ثوبين، ولا تغطوا رأسه؛ فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا) فمن مات على الخير ومن مات على الطاعة والبر فإنه يبعث على ما مات عليه. قال بعض المفسرين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ قال في تفسير هذه الآية الكريمة: إن المراد بها أن يستكثر من الخير والطاعة حتى إذا جاءه الموت وجاءته منيته، جاءه الموت وهو على طاعةٍ وعلى خيرٍ. وعلى العموم، إذا أكثر العبد من طاعة الله وحسن الظن بالله – سبحانه وتعالى – فإن الله لا يخيبه، ففي حديث أحمد في مسنده: يقول الله تعالى: (أنا عند حسن ظن عبدي بي فمن ظن بي خيرًا كان له). اللهم اجعلنا ممن ظن بك الخير فلقيته بالخير والبر في الدنيا والآخرة.

وقوله – عليه الصلاة والسلام –: **[ومن فتنة المسيح الدجال]** هذه الفتنة من أعظم الفتن وما من نبيٍّ إلا وقد حذر أمته من فتنة المسيح الدجال، وهو عبدٌ مخلوقٌ خلقه الله – عز وجل – بقدرته وصرفه في هذا الكون ابتلاءً واختبارًا بعلمه وحكمته – سبحانه وتعالى –، ما من نبيٍّ بعث إلا وقد حذر أمته من هذه الفتنة، والدجال مخلوقٌ وخلقه عظيمٌ، فإن النبي ﷺ ثبت في الحديث عنه: أنه ما من خلقٍ من آدم إلى قيام الساعة أعظم من الدجال ففي شكله وصورته وخلقته من أكبر ما يكون وهذا ابتلاءٌ عظيمٌ وفتنةٌ عظيمةٌ ثم إنه أعور عينه اليمنى، جاءت النصوص بصفاته الخلقية أنه أعور عينه اليمنى، كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : (كأن عينه عنبة طافية وكذلك مكتوب بين عينيه كافر) تهجاها – عليه الصلاة والسلام – كما في الصحيح: ("ك ف ر" يقرؤها كل مؤمنٍ وكل مسلم) سواءً كان يعرف القراءة أو لا يعرفها وهذا على ظاهر قوله – عليه الصلاة والسلام – يقرؤها كل مؤمن وفي بعض الروايات: (يقرأ كاتبًا أو غير كاتب) أي: يقرؤها المؤمن سواءً كان يعرف الكتابة أو لا يعرفها، أما كيف يقرأ فإن الله على كل شيءٍ قدير، ومن مكن القارئ أن

يقرأ فإنه قادرٌ – سبحانه – على أن يمكن من لا يقرأ من القراءة، ولذلك ما على المسلم إلا أن يسلم فإذا رآه المؤمن والمسلم الذي آمن بالله واستقام قلبه لله ظهرت له القراءة "كافر" – نسأل الله السلامة والعافية –.

وسمي "المسيح الدجال"، أما المسيح فقيل: لأنه يمسح الأرض – فعيلٌ بمعنى فاعل –، وقيل: لأنه ممسوحٌ عينه اليمنى ولكن ظاهر قوله – عليه الصلاة والسلام –: (كأن عينه عنبةٌ طافية) ليس المراد به: المسح بمعنى أنها مطموسةٌ بالكلية فهي غير موجودة، ولكن المراد: أنه ممسوحٌ فلا يبصر منها فتكون كالعمياء، وقيل: إنه مسيحٌ لممسوح العين، وإما أنه مسيحٌ لأنه يمسح الأرض. وأما خروجه: فإنه يخرج من جهة المشرق ويتبعه سبعون ألفًا من يهود أصفهان عليهم الطيالسة – كما ورد في الخبر عن النبي ﷺ –، وإذا جاء إلى الناس جاء بفتنةٍ عظيمةٍ، فإن الله – سبحانه وتعالى – جعل معه جنةً وناراً، فجنته نارٌ وناره جنةٌ، ومن آمن به فأدخله جنته أدخله النار، ومن كذبه وكفر به وأدخله ناره كانت ناره جنةً له، ومن عظيم فتنته: أنه يقتل الرجل ثم يعيد رأسه إليه فيحيا من جديد، ومن عظيم فتنته: أنه يمر على الأرض الخربة وعلى الخرابة التي لا عمران فيها فيشير إليها ويقول لها: أخرجي كنوزك. فتخرج كنوزها وتتبعه كيعاسيب النحل، كما ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فإذا رأى الناس ذلك فتنوا ودخلهم الشك والريب – نسأل الله السلامة والعافية –، ولذلك أمر المؤمن أن ينأى عنه يعني: يفر ولا يقابله، وقد يأتي الرجل وهو مكذبٌ به فإذا رأى ما عنده من الفتن آمن به وصدقه – نسأل الله العظيم أن يعيذنا من فتنته –. ولذلك قال ﷺ: (فمن أدركه منكم فلينأ عنه) بمعنى: ليبتعد عنه وليحرص على عدم لُقِيّه. ومن أسباب الحفظ التي يحفظ الله ﷻ بها العبد من فتنة المسيح الدجال: الدعاء، فإن الدعاء من أعظم الأسباب التي يحفظ الله بها العبد من الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن، ولذلك قال ﷺ في الحديث الصحيح: (تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن) فكثرة الدعاء من أسباب الحفظ ويدل على هذا حديثنا، فإن رسول الله ﷺ أمر أمته أن تستعيذ بالله من فتنة المسيح الدجال، وكذلك أيضًا مما يُعصم به الإنسان من فتنته أن يقرأ فواتيح سورة الكهف كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ ، وجاء في بعض الروايات: أنها إلى عشر آيات، وكذلك من حفظ أواخر وخواتيم سورة الكهف فإن الله يعصمه من فتنة المسيح الدجال ويحفظه منها، ولأنها اشتملت – سواءً فاتحة سورة الكهف أو خاتمة سورة الكهف – اشتملت على دلائل التوحيد وعظمة الله ﷻ ووحدانيته – سبحانه وتعالى –، فإذا قرأها المؤمن موقنًا بها عصم الله قلبه وحفظه من هذه الفتنة العظيمة وفي خواتمها: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى

مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ ففيها تذكيرٌ من الله ﷻ لعبده، كذلك أيضًا من أسباب الحفظ من فتنة المسيح الدجال: سكنى المدينة وسكنى مكة؛ فإن النبي ﷺ ثبت عنه في الصحيح: أن الدجال لا يدخل المدينة، وفي حديث تميم الداري: أنه لما لقي الدجال وسأله قال: إلا المدينة، فقال لما ذكر الخبر تميم الداري لرسول الله ﷺ وقص خبر الجساسة وجاء عند ذكر المدينة وقال: (إن على كل نقبٍ من أنقاب المدينة ملائكةٌ يحرسونها من الدجال والطاعون) فلا يدخلها طاعونٌ ولا يدخلها الدجال، فإذا أراد أن يدخل المدينة صرفته الملائكة عنها بقدرة الله – عز وجل – فلم يستطع دخولها. فلما ذكر تميمٌ ذلك ضرب النبي ﷺ بقدمه على منبره وصاح: (هذه طيبة هذه طابة، هذه طيبة هذه طابة) فالله طيبها وحفظها من فتنته فلا يدخلها، وإنما ترجف المدينة تصيبها الرجفة – كما في الحديث الصحيح – فيخرج منها منافقون يعني: أناسٌ عندهم نفاق ويسيرون إليه بالسبخة، والسبخة بجهة الجرف وهي بعد حدود المدينة بعد وادي العقيق من جهة المغرب، هناك السبخة وهي أرضٌ مالحةٌ ومعروفةٌ إلى يومنا هذا، هذا الموضع ينزل فيه الدجال، فإذا نزل فيه خرج المنافقون من المدينة إليه، وأما ما انتشر بين الناس وبين بعض عوام الناس من أنه يخرج من المدينة سبعون ألفًا فهذا كذبٌ ولم يثبت به حديثٌ صحيحٌ عن رسول الله ﷺ وإنما ثبت عنه في الصحيح: أن المدينة ترجف فيثبت الله المؤمنين ويخذل المنافقين فيخرجون منها إلى الدجال فيؤمنون به ويتبعونه – نسأل الله السلامة والعافية –. وأما زمان فتنته: فإنه يمكث أربعين يومًا: يومٌ كسنةٍ تامةٍ كاملة، وكيف يكون هذا اليوم كسنةٍ؟ فالله على كل شيءٍ قدير، ومن أجرى الشمس من مشرقها إلى مغربها قادرٌ على أن يحبسها سنواتٍ، وقادرٌ أن يحبسها منذ خلق الخلق إلى أن يبعثهم بل وأكثر فلا يعجزه شيءٌ فالله على كل شيءٍ قدير، وهذا اليوم كسنةٍ كاملةٍ، ثم يومٌ كشهرٍ، ثم يومٌ كجمعةٍ – يعني: كأسبوعٍ –، ثم يومٌ كسائر الأيام، قالوا: يا رسول الله! هذا اليوم الذي كسنةٍ تجزينا فيه صلاة يومٍ واحدٍ؟ قال: (لا، ولكن اقدروا قدره). أي: قدروا للصلاة مواقيتها ثم صلوها، فتقدر الأيام في هذه السنة الكاملة على عدد أيام السنة ويصلي المؤمن على عددها. ثم يمكث في الأرض ما شاء الله – عز وجل – له أن يمكث، وهي مدته التي ذكرنا – أربعين يومًا – ويطوف الأرض كلها، وهو موجودٌ في زمان النبي ﷺ ، وثبت في حديث تميمٍ الداري: أنه لما انكسرت به السفينة في عرض البحر، وأنهم تشبثوا بألواحٍ منها فإذا بهم بجزيرةٍ، فرأى امرأةً قد غطى الشعر جسدها – وهي الجساسة –، فسألها فقالت: انطلق، فانطلق معها إلى الدير فإذا برجلٍ عظيم الخلقة مسلسلٍ وإذا به الدجال – رآه على صفته التي

أخبر النبي ﷺ عنها –، فسأله الدجال عن المسائل وكان منها: خروج النبي ﷺ ، فلما أخبره عن خروجه ضرب برجله الأرض فرِحًا؛ لأنه علم قرب الخروج، وسأله عن بحيرة طبرية وأنه يوشك أن تجف أو يجف ماؤها، ثم ذكر له الخبر وأنه يجوب الأرض فلا يدع مكانًا إلا وطئه إلا ما كان من مكة والمدينة. والخبر ثابتٌ في صحيح مسلمٍ، وهو محبوسٌ في جزيرةٍ من البحر، وعلى المؤمن أن يؤمن بذلك؛ لأن الحديث ثابتٌ وصحيحٌ عن تميمٍ الداري. وأما قول بعض العقلانيين: من أن العلم الحديث قد اكتشف الأشياء وما من جزيرةٍ إلا واكتشفها، فإن الله قادرٌ على أخذ الأسماع والأبصار والله على كل شيءٍ قدير، والله لا تخفى عليه خافية، وقادرٌ على أن يخفيها، ولذلك ينبغي التسليم والإيمان وألا يكون الإنسان عقلانيًا مع النصوص الصحيحة [....] صحيحةٌ ثابتةٌ عن رسول الله ﷺ ، وأما القول بأنه غير موجود لحديث: (أُرِيتُكم ليلتكم هذه فإنه ما من نفسٍ منفوسةٍ إلا وستموت على رأس المئة منها) فهذا الحديث قال فيه النبي ﷺ: (ما من نفسٍ منفوسة) ولم يثبت عندنا أن الدجال منفوسٌ أي: مولودٌ من غيره، فيحتاج صاحب هذا الحديث إلى إثبات أنه مولودٌ، وهو خلقه الله – عز وجل – يحتمل أن يكون من غيره ويحتمل أن يكون خلقةً مستقلةً، ولذلك لا يمكننا أن نعارض هذا النص بهذا النص، فإنه يبقى وقد قال: يوشك أن أخرج، ولم يذكر موتاً – كما في الصحيح من حديث تميم –.

وأما فتنة ابن الصياد، فإن ابن الصياد من أنسب الأوجه فيها: أنه كان في أول الأمر لم يكن الصحابة على علمٍ بأن الدجال موجودٌ، والنبي ﷺ أخبر الصحابة بفتنته، ثم بعد ذلك جاء تميمٌ وأخبرهم الخبر فانصرف الأمر إلى الدجال الموجود، إذ لا يمكن أن يجمع بين كونه مسجونًا في الجزيرة وهو يسأل هذه المسائل وبين كونه ابن الصياد، ولذلك الصحيح: أنه ليس ابن الصياد، وأن ابن الصياد وإن كانت فيه فتنةٌ في زمن النبي ﷺ بقدرها؛ لأن رسول الله ﷺ لما دخل عليه قال: (خبأت لك خبئًا، قال: الدخ، قال: اخسأ عدو الله فإنك لن تعدو قدرك) فهذا نوعٌ من الفتنة لكنه لا يرقى إلى إثبات كونه المسيح الدجال، وعلى هذا نعمل النصوص على ما وردت ونقول الدجال موجودٌ ونؤمن بذلك ونصدقه ولا نكذبه؛ لأنه جاءنا برواية الخبر العدل عن العدل متصلاً إلى رسول الله ﷺ ، وليس للعقول في هذا مجال فإنه إذا صح الخبر انقطع النظر ولا يبقى للمسلم إلا التسليم بما ثبت عن رسول الله ﷺ ، وهذا هو مذهب السلامة وهو منهج الأئمة من السلف الصالح لهذه الأمة والتابعين لهم بإحسانٍ. وهذه الفتنة جعلها الله – سبحانه وتعالى – ابتلاءً واختبارًا لا تكون إلا في آخر

الدنيا، فإذا عظمت فتنة الدجال سلط الله عليه المسيح ابن مريم وقتله، كما ثبت في ذلك في الصحيحين عن رسول الله ﷺ ، فينزل عيسى بن مريم – عليه السلام – وينحاز المؤمنون إليه فيقتل المسيح الدجال، ثم يضع الله البركة في الأرض فحتى إن الشاة الواحدة يأكلها أربعون نفسًا من الناس مما وضع الله من البركات والخيرات بعد أن تملأ الأرض جورًا وفسادًا وظلمًا بفتنة الدجال وفتنة يأجوج ومأجوج عند قرب الساعة، وهذا كله ثبتت به الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

وفي قوله – عليه الصلاة والسلام –: **[ومن فتنة المسيح الدجال]** يثبت الله المؤمن في هذه الفتنة، ولذلك ثبت عن رسول الله ﷺ أن أشد أمته على الدجال بني تميم فقال ﷺ: (أشد أمتي على الدجال بنو تميم، وثبت أن الرجل من بني تميم يخرج إليه فيقول له: هل تؤمن بي؟ فيقول: أنت الدجال قد أخبرنا رسول الله ﷺ عنك، فيضرب عنقه ثم يعيده مرة ثانية، فيقول له: هل آمنت بي؟ فيقول: ازددت إيمانًا أنك الدجال، فيريد أن يقتله مرةً ثانيةً، فلن يسلط عليه ويحفظ الله رقبته فلا يستطيع أن يقتله). وتحصل في فتنه أمور كثيرة فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يسلمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرزقنا الحياة الطيبة وأن يتوفانا مع الأبرار وأن يختم لنا بخير.

في هذا الحديث دليلٌ على سعة رحمة الله بهذه الأمة حيث جعل لها هذه الدعوات المباركة حرزًا وحفظًا من شرورٍ عظيمةٍ، وأنه ينبغي للمسلم دائمًا أن يستديم الدعاء وأن يلتجئ إلى الله – سبحانه وتعالى –، فإنه لا ملجأ ولا منجى للعبد من الله إلا إلى الله ولذلك قال ﷺ: (لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك)، فعلى المؤمن دائمًا أن يسأل الله ﷻ الحفظ والكفاية وأن يكون في حرز من الله – سبحانه وتعالى – بالدعاء والأذكار حتى يحفظه الله – عز وجل – من هذه الفتن. وفي هذا الحديث أيضًا دليلٌ على مشروعية الدعاء عند ختم الصلاة.[.....]